

الجاحظ عند أئمة أهل السنة

قال الخطيب في تاريخه^(١) في ترجمة الجاحظ : المصنف الحسن الكلام البديع التصانيف، كان من أهل البصرة ، واحد شيوخ المعتزلة قدم بغداد فأقام بها مدة ، وكان تلميذا لأبي اسحاق النظام .

وقال ياقوت الحموي في معجم الأدباء^(٢) بعد ما ذكر اسمه واسم أبيه ونسبه ثم قال : وأخذ النحو عن الأخفش أبي الحسن ، وكان صديقه ، وأخذ الكلام عن النظام . وتلقف الفصاحة من العرب شفاها بالمربد . وحدث أن الجاحظ قال : نسيت كنيتي ثلاثة أيام حتى أتيت أهلي فقلت لهم بم أكنى ؟ فقالوا : بأبي عثمان ، ثم قال : وقال المرزباني : قال أبو بكر أحمد بن علي : كان أبو عثمان الجاحظ من أصحاب النظام ، وكان واسع العلم بالكلام كثير التبجر فيه ، شديد الضبط لحدوده ، ومن أعلم الناس به ، ثم قال ياقوت : وله كتب كثيرة مشهورة جليلة في نصره الدين وفي حكاية مذهب المخالفين . ثم قال وإذا تدبر العاقل المميز أمر كتبه علم أنه ليس في تلقيح العقول ، وشحن الأذهان ، ومعرفة أصول الكلام وجواهره وإيصال خلاف الإسلام ، ومذاهب الاعتزال الى القلوب كتب تشبهها ، والجاحظ العظيم القدر في المعتزلة وغير المعتزلة من العلماء الذين يعرفون الرجال ويميزون الأمور اه .

(١) تاريخ بغداد ١٢/٢١٢ - ٢٢٠

(٢) معجم الأدباء : ١٦/٧٤ - ١١٤

قلت : وأما كلام ياقوت في كتبه وله كتب كثيرة مشهورة جلييلة في نصرة الدين الذى فهمه الجاحظ وهو دين المعتزلة كما ذكره ياقوت نفسه فيما بعد فاتبه وليس دين محمد ﷺ الذى تلقاه عن الله تعالى وبلغه إلى الانسانية كلها ﷺ .

قال الإمام الذهبي في الميزان^(١) : عمرو بن بحر الجاحظ صاحب التصانيف روى عنه أبو بكر بن أبي داود فيما قيل : قال ثعلب : ليس بثقة ولا مأمون ثم قال : قلت : وكان من أئمة البدع . وقال في العبر في خبر من غير^(٢) : وفيها - أى سنة خمسين ومائتين - عمرو بن بحر الجاحظ أبو عثمان البصرى ، صاحب التصانيف الكثيرة فى الفنون ، كان بحرا من بحور العلم ، رأسا فى الكلام والاعتزال ، وعاش تسعين سنة ، وقيل بقى الى سنة خمس وخمسين ، أخذ عن القاضى أبى يوسف ، وثمامة بن أشرس ، وأبى اسحاق النظام اهـ .

وقال الإمام ابن كثير فى البداية والنهاية^(٣) : الجاحظ المتكلم المعتزلى ، وإليه تنسب الفرقة الجاحظية لجحوظ عينيه ، ويقال له الحدق ، وكان شنيع المنظر ، سيء المخبر ردى الاعتقاد ، ينسب إلى البدع والضلالات ، وربما جاز به بعضهم إلى الانحلال حتى قيل فى المثل : يا ويح من كفره الجاحظ ثم ذكر فيه بقية الأشياء .

قال الجاحظ فى ترجمة الجاحظ^(٤) : وقال الخطابي : هو مغموض فى دينه ، وذكر أبو الفرج الأصبهاني أنه كان يرى بالزندقة وانشد فى ذلك اشعارا .

(١) ميزان الاعتدال : ٢٤٧/٣

(٢) العبر فى خبر من غير : ٤٥٦/١

(٣) البداية والنهاية : ١٩/١١ - ٢٠

(٤) لسان الميزان : ٣٥٦/٤

ثم قال الحافظ : وقد وقفت على رواية ابن أبي داود عنه ذكرتها في غير هذا الموضع وهو في الطيوريات .

قال السندی : الطيوريات : هذه الأحاديث التي انتخبها الحافظ أبو الطاهر أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم السلفي الأصبهاني المتوفى سنة ٥٧٦ هـ من أصول شيخه أبي الحسين المبارك بن عبد الجبار الصيرفي الطيوري أيام كان في بغداد توجد من هذه الأحاديث والحكايات المنتخبة - الطيوريات - نسخة في المكتبة الظاهرية بدمشق في قسم الحديث برقم ٣٢٩ من الورقة ١ - ٢٨٦ وتكون من سبعة عشر جزءا وهي مكتوبة بخط نسخي معتاد ذكر هذا الدكتور حسن عبد الحميد صالح في مقدمة الرسالة التي نال بها درجة الدكتوراه من كلية الدراسات الشرقية بجامعة كامبروج بانجلترا في ايار مايو ١٩٧٢ م وعنوان هذه المقدمة : الحافظ أبو الطاهر السلفي^(١) . وأبو الحسين المبارك بن عبد الجبار ابن الطيوري . ترجم له الحافظ في اللسان^(٢) : وذكر له هذه الطيوريات اذ قال : وأكثر عنه السلفي وانتقى عليه مائة جزء تعرف بالطيوريات .

قلت : ما ذكره الأستاذ الدكتور حسن عبد الحميد صالح إنها تتكون من سبعة عشر جزءا وذلك من ص ١ - ٢٨٦ . اذا كانت الطيوريات كاملة فانها تقع في مائة جزء كما ذكر الحافظ في اللسان وإن كانت ناقصة في الظاهري ولا يوجد منه إلا سبعة عشر جزءا وهذا الذي قصده الدكتور فالامر واضح ظاهر فينبغي البحث والتفتيش عن بقية الأجزاء الثلاثة والثمانين وقد أورد

(١) الحافظ أبو الطاهر السلفي : ص ٢٠٩

(٢) لسان الميزان : ٩/٥ - ١١

السيوطي في كتابه ذيل الموضوعات^(١) باسناد الطيوري حديثا بقوله: أخرج الطيوري في الطيوريات: أنبأنا أبو منصور محمد بن محمد بن عثمان السواق، أنبأنا أبو القاسم ابراهيم بن أحمد بن جعفر الحرفي، حدثنا عبد الله بن محمد بن علي بن بكرة، حدثني أبو الطيب الصياد محمد بن اسحاق الخزاعي، حدثنا علي بن الحسين، حدثنا موسى بن ابراهيم، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة مرفوعا: من أكل الجرجير بعد العشاء الآخرة فبات عليه نازعه الجذام في أنفه.

قلت: في هذا الاسناد عدد من المجاهيل ويتهم متروك وهو موسى بن ابراهيم أبو عمران المروزي كذبه يحيى بن معين وقال الدارقطني وغيره متروك قاله الجاحظ في اللسان^(٢).

ثم قال الجاحظ في ترجمة الجاحظ^(٣): قال ابن خشبة في اختلال الحديث ثم نصير إلى الجاحظ وهو احسنهم للحجة استنادا، وأشدهم تلفظا لتعظيم الصغير حتى يعظم، وتصغير العظيم حتى يصغر ويكمل الشيء وينقصه فنجدده مرة يحتاج للعثمانية على الرافضة ومرة للزندقة على أهل السنة ومرة يفضل عليا ومرة يؤخره. ويقول قال رسول الله ﷺ كذا وتبعه.

قال السندی: هكذا أهل الباطل يتلونون بعدة ألوان وهم أتباع الجاحظ في هذه الفعلة الشنيعة وهم يكيّدون بأهل الاسلام كيّدا ويتظاهرون بالحب والود للأئمة المسلبة والتقرب إليها وإنما هم دائما وابدا يخططون لهدم الاسلام وكيّانه

(١) ذيل الموضوعات: ص ١٤١ - ١٤٢ (المطبوع بالهند في عام ١٣٠٣ هـ بمطبع العلوي بلكنو).

(٢) لسان الميزان: ١١١/٦

(٣) نفس المصدر: ٣٥٦/٤

وهم في ديارهم ونواديبهم ومعسكراتهم وعلى رأس هؤلاء الأعداء الشيوعية العالمية ومعسكراتها المختلفة والصهونية الدولية مع خططها الرهيب والماسونية الماكرة التي تلعب دورها في إيجاد هذه الفتن والحروب في العالم كله ، اللهم احفظنا وديننا وكياننا وأمتنا المسلمة عن كيد الأعداء واجعل الدائرة عليهم .

قال أبو منصور الأزهري في مقدمة تهذيب اللغة : وممن تكلم في اللغات : بما حصره لسانه ، وروى عن الثقات ما ليس من كلامهم الجاحظ ، وكان أوتي بسطة في القول ، ويانا عذبا في الخطاب ، وبجالا في الفنون غير أن أهل العلم ذبوه وعن الصدق ومغوه . وقال ثعلب : كان كذابا على الله وعلى رسوله وعلى الناس اه .

قلت : هكذا انتهى الحافظ ترجمة الجاحظ في اللسان وهو أدري بحاله بما عنده من العلم بالسنة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام وهكذا أهل الباطل دائما يزينون الكلام فيأثرون به على بعض الناس فتقع المصيبة والكارثة العلمية في كل عصر ومصر وهكذا حصل المأمون بن عبد الله العباسي إذ زين له القول بخلاف القرآن من قبل المعتزلة فخلت بالأمة المسلمة ما حلت من الكارثة الشنعاء والنكبة السوداء فجاء الله تعالى بالامام أحمد فوقف وقفة رائعة مثالية أمام هذا التيار الإلحادي فكان ما كان فله دره رحمه الله تعالى .

وقال ابن العباد في شذرات الذهب^(١) : وفي سنة ٢٥٠ هـ عمرو بن بحر الجاحظ أبو عثمان البصري المعتزلي ، وإليه تنسب الفرقة الجاحظية من المعتزلة ، صنف الكثير في الفنون ، كان بحرا من بحور العلم رأسا في الكلام ، والاعتزال وعاش تسعين سنة ، وقيل بقي إلى سنة خمس وخمسين ومائتين أخذ عن القاضي

أبي يوسف وثمامة بن الأشرس وأبي اسحاق النظام ثم قال ابن العماد: وكان موته بسقوط مجلدات العلم عليه اهـ.

قلت: ترك شرا عظيما في هذه الكتب من الاعتزال وطعنه في سنة رسوله ﷺ كفاه أن يكذبه ثعلب كما نقل عنه الامام الذهبي في المغني والامام ابن الجوزي في الضعفاء. وترجم له الياقعي في مرآة الجنان^(١) وصاحب طبقات المعتزلة^(٢) وأمالى المرتضى^(٣) ونزهة الالباء^(٤).

(مقتطف من بحث)

الشيخ الدكتور عبد القادر حبيب الله السندی



(١) مرآة الجنان: ١٥٦/٢ - ١٦٢

(٢) طبقات المعتزلة: ص ٦٧

(٣) أمالى المرتضى: ١٩٤/١

(٤) نزهة الالباء: ص ١٦٢